African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 3, Issue 4, October - December 2024
Page No: 1-14
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2023: 1.25 **SJIFactor 2024: 6.856** **ISI 2024: 0.846**

التعدد الإثني في ليبيا وأثره على تجانس المجتمع وتمتين روابط الوحدة الوطنية

د. عبد القادر علي الغول[1*]، د. أبوالقاسم محمد مصباح [2]
[1،2] الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، ليبيا

Ethnic diversity in Libya and its impact on societal cohesion and strengthening the bonds of national unity

Dr. Abdulqadir Ali Alghoul [1*], Dr. Abolgasem M. Mosbah [2]
[1,2] Libyan Academy for Postgraduate Studies, Libya

*Corresponding author abo.70sohib123@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2024-07-29 **تاريخ القبول:** 2024-09-20 **تاريخ النشر:** 2024-10-02

الملخص

تناولت هذه الدراسة التعدد الإثني في ليبيا ودوره في تأكيد الانتماء الوطني، والذي يعد من المواضيع المهمة، خاصةً في ظل ما تمر به الدولة الليبية من تراجع في مقومات الوحدة الوطنية على حساب الانتماءات الفرعية الأخرى، فقد تعايشت هذه المكونات بشكل سلمي في هذا المجال الجغرافي منذ عصور طويلة، وتوافقت فيما بينها رغم صعوبة ظروف الإقليم الجغرافية وشح موارده، لتكون ليبيا بذلك نموذجًا للدولة التي استطاعت أن تتثبت أن التنوع العرقي والتركيب القبلي لا يشكل خطرًا على الدولة بل يمكن الاعتماد عليه في تقوية الاندماج الوطني للسكان، وترابطهم ثقافياً وفكرياً يجمعهم في ذلك انتماؤهم الوطني الذي لا يتناقض مع الانتماء القومي أو القبلي والذي يظل محل احترام واعتزاز به وعدم تجاهله وتهميشه، فهذه المكونات الثقافية رغم تباينها لكنها جسدت الهوية الليبية، وإن ليبيا وطن تسكنه مجموعات بشرية تكون الأمة الليبية.

الكلمات المفتاحية: التعدد الإثني، تجانس المجتمع، الانتماء الوطني، ليبيا.

Abstract

This study addressed ethnic diversity in Libya and its role in affirming national belonging, which is an important topic, especially in light of the decline in the components of national unity that the Libyan state is going through at the expense of other sub-affiliations. These components have coexisted peacefully in this geographical area for long ages, and have agreed with each other despite the difficult geographical conditions of the region and the scarcity of its resources, so that Libya is a model for the state that has been able to prove that ethnic diversity and tribal composition do not pose a threat to the state, but can be relied upon to strengthen the national integration of the population, and their cultural and intellectual cohesion brings them together in this national affiliation that does not contradict the national or tribal affiliation, which remains respected and proud of and not ignored or marginalized. These cultural components, despite their diversity, embody the Libyan identity, and Libya is a homeland inhabited by human groups that form the Libyan nation.

Keywords: Ethnic diversity, societal homogeneity, national affiliation, Libya.

المقدمة:

يعد التعدد الإثني من سمات المجتمعات البشرية، وأحد المظاهر السكانية المؤثرة في البناء الداخلي للدولة، وفي مستقبلها السياسي، فقد يؤدي إلى تحقيق استقرار الدولة، و تقوية الاندماج الوطني بين المكونات السكانية، بما ينمي الشعور بالوحدة الوطنية، و التعايش السلمي بينها، و في أحيان أخرى ينعكس أثره سلباً على الدولة، و يكون أحد عوامل عدم الاستقرار، بما يؤدي إليه من صراعات، و حروب أهلية تهدد وحدة الدولة السياسية في كثير من الأحيان.

يتكون سكان ليبيا من مجموعات عرقية متباينة، ومن تركيبات قبلية متنوعة، لكل منها خصائصها التي تميزها عن غيرها، وتتوزع هذه المجموعات البشرية على رقعة جغرافية شاسعة تقدر بنحو **1.665.000** كم^2، تغطي الصحراء معظم مساحتها، وهو ما انعكس على نسيجها الجغرافي الطبيعي الذي يعاني من التفكك والتشتت، وأسهم في تكون جزر سكانية متباعدة منفصل بعضها عن بعض بمساحات صحراوية شاسعة.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة، للبحث في واقع التعدد الإثني في ليبيا، ومدى الترابط بين هذه المكونات الإثنية، بما يجسد الوحدة الترابية على مر العصور، والتعايش السلمي فيما بينها، في هذا المجال الجغرافي الذي يمتاز بصعوبة ظروفه الجغرافية، وشح موارده الطبيعية.

وبناء على ذلك كان اختيار هذا الموضوع، نظراً لطبيعة المرحلة الصعبة التي تمر بها ليبيا حالياً، وما تشهده من تراجع في مقومات الوحدة الوطنية، وتنامي الحديث عن مفهوم المكونات وهوياتها الفرعية، ومحاولات استغلالها بما يفضي إلى إذكاء الصراعات الإثنية، وتمزيق النسيج الاجتماعي بين هذه المكونات البشرية، وعلى هذا الأساس تنقسم الدراسة المحاور الأتية:

- الخصائص الجغرافية التاريخية للدولة الليبية.
- التكوين الإثني للمجموعات البشرية وتوزعها الجغرافي.
- العامل الإثني ودوره في تقوية الترابط بين المناطق في ليبيا.

وتتمحور مشكلة البحث في محاولة الاجابة على الأسئلة الآتية:

- ما هو واقع المكونات الإثنية في ليبيا؟
- ما هو الدور الذي أسهمت به هذه المجموعات العرقية، والقبلية في وحدة التراب الليبي عبر العصور؟

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها، إن تنوع المجموعات البشرية التي عاشت في ليبيا، ولازالت تعيش فيها، توافقت وتعايشت في هذا المجال الجغرافي الشاسع منذ زمن.

أهدف البحث

التعرف على طبيعة الجغرافيا الليبية، وما تحتويه من عناصر ومكونات ثقافية متباينة بين اقليم جغرافي وآخر، والوقوف على دورها في تشكيل ووحدة التراب الليبي.

منهجية البحث

- المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال الاعتماد على الكتب والدوريات وكذلك الخرائط التي تناولت موضوع الدراسة.
- المنهج التاريخي. والذي سيتم الاعتماد عليه عند تتبع تسلسل الاحداث التاريخية والمراحل التي مرت بها ليبيا.

أولاً / الخصائص الجغرافية والتاريخية للدولة الليبية

1- الخصائص الجغرافية

- الموقع الجغرافي والمساحة

تقع ليبيا في الجزء الشمالي من القارة الإفريقية، بين دائرتي عرض **(30¯ .19º و57¯ . 32º شمالاً)**، **وخطي طول (9¯ و 25º شرقاً)**، تشغل رقعة جغرافية شاسعة تقدر مساحتها بنحو **1.665.000 كم²** [1]، تمتد من البحر المتوسط شمالاً حتى عمق الصحراء الكبرى جنوباً، و تشغل الصحراء معظم مساحتها، تشرف على الطرف الجنوبي من حوض البحر المتوسط بواجهة بحرية تمتد مسافة **1900كم**، تشترك في حدود برية طويلة مع مجموعة من الدول العربية والإفريقية، يبلغ طول هذه الحدود نحو **4600 كم**، يحدها من الشمال الغربي تونس، ومن الغرب والجنوب الغربي الجزائر، ومن الشرق مصر، ومن الجنوب الشرقي السودان، ومن الجنوب تحدها دولتي تشاد والنيجر، خريطة **(1).**

خريطة رقم (1) موقع ليبيا الجغرافي بالنسبة لدول الجوار.

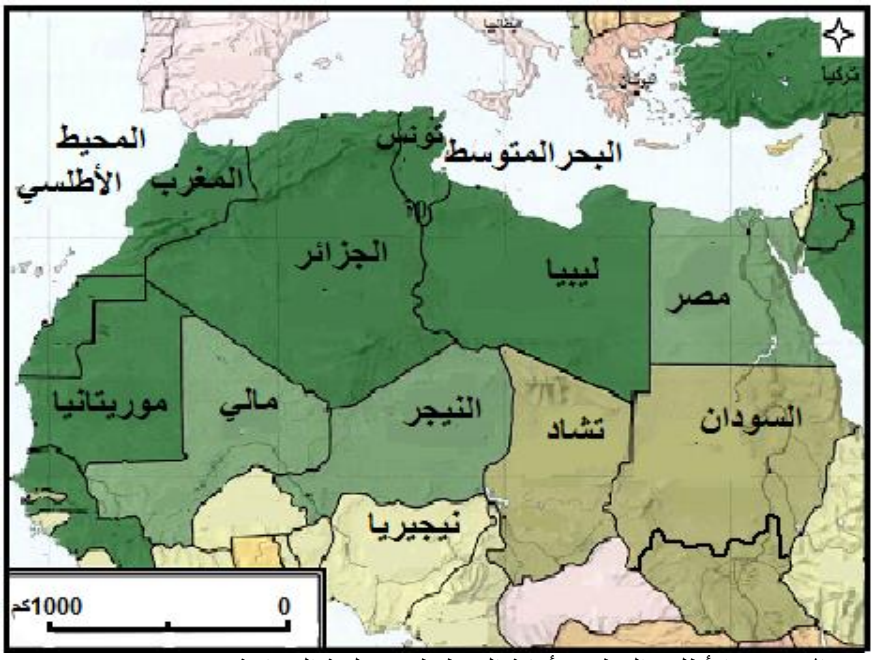

المصدر: الأطلس الوطني، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، 1978، ص 78.

فبهذا الموقع الجغرافي تعد ليبيا همزة وصل مهمة بين المغرب والمشرق العربي، وحلقة وصل بين قارة أوروبا ووسط إفريقيا، من خلال الموانئ البحرية المنتشرة على طول الساحل البحري، فكانت الأراضي الليبية بذلك معبراً مهماً لطرق القوافل التجارية التي تتوغل جنوباً إلى ما وراء الصحراء في قارة إفريقيا.

- مظاهر التضاريس

تشكل الصحراء الجزء الأكبر من المساحة، حيث تأخذ مظاهر السطح في ليبيا صفة هضبة مترامية الأطراف بوجه عام، يتراوح ارتفاعها ما بين **200 – 300 متر** فوق مستوى سطح البحر، وترتكز هذه الهضبة فوق قاعدة من الصخور الأراكية التي تتغطى بطبقات رسوبية مختلفة السمك و العمر الجيولوجي، وتنحدر هذه الهضبة بشكل عام من الجنوب إلى الشمال[2]، وبرغم هذا الشكل العام لمظاهر السطح في ليبيا، إلا إن هذه الهضبة تحوي العديد من مظاهر التضاريس المتباينة بين أجزائها، حيث توجد المرتفعات الجبلية العالية التي يصل ارتفاع بعضها إلى **3000 متر** فوق مستوى سطح البحر، كما هو الحال في المرتفعات

[1] دولة ليبيا، الهيئة العامة للمعلومات، التقرير الوطني السادس للتنمية البشرية، (2020)، ص106. حيث تقلصت مساحة ليبيا بعد اقتطاع شريط أوزو الذي تبلغ مساحته نحو 114.000 كم مربع.

[2] - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، منشأة المعارف الاسكندرية، الطبعة الثانية، 1971، ص 14- 30.

الجنوبية مثل جبال تيبيستي ، والعوينات، وأكاكوس، وتاسيلي....وغيرها، أيضاً توجد تكوينات السرير و الحماده، كما توجد مجموعة من الأحواض الصحراوية، كذلك نجد نطاق السهول الساحلية الذي يمتد على طول ساحل البحر المتوسط، حيث يوجد سهل الجفارة، وسهل بنغازي، وسهول سرت....وغيرها. وبناءً على ذلك يمكن تقسيم مظاهر التضاريس في ليبيا إلى الأقسام التالية:

- **نطاق السهول الساحلية**. ويمتد من الغرب إلى الشرق بمحاذاة ساحل البحر المتوسط، على شكل شريط ينحصر بين المرتفعات الشمالية والبحر المتوسط ، ويتكون من سهول منبسطة بشكل عام قليلة الانحدار، تختلف في اتساعها وأهميتها الاقتصادية من مكان لآخر، حيث تتسع في بعض الأحيان بحيث تتجاوز **100 كم**، كما هو الحال في سهل الجفارة، وسهول سرت، وتضيق في أحيان أخري، بحيث تلامس المرتفعات مياه البحر مباشرة، ولا تترك فرصة لتكوين سهل ساحلي، كما هو الحال عند مرتفعات الجبل الاخضر، وهضبة البطنان في الشرق ، وتقطع هذه السهول مجموعة من الأودية الموسمية التي تنحدر من المرتفعات المجاورة، وتمتلئ بالمياه عقب هطول الأمطار خلال فصل الشتاء [3]، ومن أهم هذه السهول سهل الجفارة، وسهل بنغازي، اللذين يمثلان مراكز الثقل السكاني والاقتصادي في ليبيا، ويتركز في هذا النطاق الساحلي ما نسبته نحو **85%** من إجمالي عدد السكان في مساحة لا تتعدى **10%** من المساحة الاجمالية[4]، كما يضم هذا القسم نطاق المرتفعات الشمالية، وتشمل الجبل الأخضر الذي يصل ارتفاعه نحو **880** متر، و الجبل الغربي الذي يصل ارتفاعه نحو **870** متر[5]، و لهذه المرتفعات دور مهم في التأثير على الظروف المناخية بالمنطقة، خاصة من حيث معدلات الهطول المطري، الذي يصل إلى نحو **600 ملم** على مرتفعات الجبل الأخضر، ونحو **350** ملم على مرتفعات جبل نفوسه[6].

- **النطاق الصحراوي الداخلي**. ويشكل النسبة الأكبر من مساحة البلاد، ويشغل نحو **90%** من إجمالي مساحة البلاد، وهو نطاق اللامعمور الليبي، ويتصف بقلة عدد السكان، حيث لا تتعدى نسبة السكان به نحو **15%** [7]، يحتوي هذا القسم على العديد من المظاهر التضاريسية، حيث توجد به المناطق الجبلية المرتفعة كما هو الحال في جبال العوينات، وتاسيلي، والهروج، العوينات...وغيرها، كما يضم أيضاً سلسلة من المنخفضات الصحراوية التي تنقسم إلى نطاقين : النطاق الشمالي ويمتد على طول دائرة عرض **29°** شمالاً، ويضم واحات الجغبوب، جالو، أوجلة، غدامس....وغيرها، ونطاق آخر في الجنوب يمتد بين دائرتي عرض **23°- 26°** شمالاً، ويضم واحات الكفرة وواحات فزان، هذه المنخفضات تعد أحد أهم مناطق التركز السكاني.

كما يمتد أيضاً نطاق صحراوي رأسي يبدأ من جبال تيبيستي في الجنوب، وينتهي في منطقة خليج سرت في الشمال، حيث يفصل بذلك كتلة طرابلس في الغرب عن كتلة برقة في الشرق، كما يشطر أيضاً الظهير الصحراوي الداخلي إلى حوضين منفصلين، حيث حوض فزان في الغرب، وحوض الكفرة في الشرق، وبذلك تنقسم ليبيا إلى أربعة كتل جغرافية:

1- كتلة طرابلس في الغرب.
2- كتلة برقة في الشرق.
3- كتلة حوض فزان في الجنوب الغربي.
4- كتلة حوض الكفرة في الجنوب الشرقي.

فهذه الكتل تنفصل عن بعضها بعض بجبهات صحراوية كبيرة، ما انعكس سلباً على نمط التركز السكاني الذي يأخذ صفة التشتت.

---

[3] - المرجع نفسه، ص 32.
[4] - محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الثانية، بنغازي 1989، ص 134.
[5] - عبد العزيز طريح شرف، المرجع نفسه، ص 49 – 54.
[6] - محمد المبروك المهدوي، المرجع نفسه، ص 82.
[7] - المرجع نفسه، ص 134.

- **المناخ**

يسود ليبيا بشكل عام ظروف مناخية تمتاز بالجفاف، نتيجة موقعها الفلكي من دوائر العرض، و اتساع رقعتها الصحراوية، حيث ترتفع درجة الحرارة خلال فصل الصيف وتصل نحو **40°** م، وتنخفض خلال فصل الشتاء وتصل إلى 5° م، وبذلك يكون المدى الحراري كبير، ولا يستثنى من ذلك إلا الهوامش الشمالية المطلة على البحر المتوسط، التي تمتاز باعتدال درجة الحرارة صيفاً وشتاءً نتيجة المؤثرات البحرية، حيث يصل متوسط درجة الحرارة خلال فصل الصيف في مدينة طرابلس إلى **26°** م، وفي مدينة سبها إلى **30°** م[8]، كما تستقبل المناطق الساحلية أعلى المعدلات المطرية خلال فصل الشتاء والتي تتراوح بين **300 – 600** ملم، والتي رغم نذره كمياتها و تذبذب معدلات هطولها بين عام وآخر، إلا إنها تسمح بقيام بعض الأنشطة الزراعية، وبذلك تميزت المنطقة الشمالية نتيجة طبيعة تضاريسها، وملائمة ظروفها المناخية بأنها البيئة الجغرافية الأكثر ملائمة للاستقرار البشري.

كما انعكست هذه الظروف المناخية، على نوع الغطاء النباتي الذي يكسو الأراضي الليبية، حيث ينذر وجود غطاء نباتي كثيف من نوع الغابات، بينما تنتشر الأحراج والشجيرات، وبعض انواع الحشائش والنباتات الصحراوية، حيث تنمو أحراج البحر المتوسط على المرتفعات الشمالية ، كما في الجبل الأخضر إذ توجد أشجار السرو، والسنديان، والعرعار....وغيرها، كذلك نجد بعض هذه الأحراج والشجيرات على مرتفعات الجبل الغربي، والمناطق المحيطة بمدينة طرابلس، أما في مناطق الأودية الداخلية التي تستقبل بعض المعدلات المطرية، تنمو بعض الأشجار والنباتات التي تتأقلم مع ظروف البيئة الطبيعية، فيما تبقى المساحة الأكبر من البلاد عبارة عن صحراء قاحلة.

2- الخصائص التاريخية

- **اسم ليبيا ودلالته**

ليبيا بمفهومها الجغرافي الحالي كانت موطناً للحضارة منذ القدم، حيث يعود تاريخ الاستيطان فيها إلى فترة العصور القديمة، قامت فيها حضارات مختلفة ومتنوعة باختلاف وتنوع الحقب الزمنية، واسم ليبيا لفظ اطلق منذ عصور قديمة على جزء من منطقة شمال إفريقيا، هذا الاسم يتوسع أحياناً، بحيث يشمل كل المنطقة الممتدة من غرب النيل في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب، ويضيق أحياناً بحيث يقتصر على جزء من الإقليم الذي يحمل الآن هذا الاسم، وبهذا يمكن القول بأن اسم ليبيا يعد من الأسماء القديمة، ترجع جذوره التاريخية إلى أكثر من ألفي عام قبل الميلاد.

لم يعرف حقيقة اللغة التي أخذ عنها اسم ليبيا، فهناك اختلاف بين المؤرخين حول أصول هذا الاسم، حيث يعتقد بعضهم إن جذور الاسم فينيقية مشتقة من الكلمة **LEBIA**، فيما يرى آخرون إن أصل الكلمة عبري وتعنى بلاد ما وراء البحر، والبعض الآخر يعتقد إنها ذات أصول يونانية مشتقة من كلمة **LIBS**، وتعني في اللغة اليونانية القديمة الرياح الجنوبية، ويرى آخرون إنها ترجع إلى النص الهيروغليفي **(ليبو أو ريبو)** الذي يشير إلى قبيلة أو مجموعة قبائل تسكن غرب نهر النيل، وهو الرأي الأرجح ، والأكثر قبولاً لدى معظم المؤرخين، الذين يرون بأن البلدان كانت قديماً تسمى باسم أهلها، و على هذا الأساس جاء اسم ليبيا نسبة إلى قبيلة الليبو.

وبالتالي فإن كلمة ليبيا وباختلاف مدلولها، وردت في نصوص تاريخية، ونقوش أثرية متعددة يمكن إيجازها في الآتي:

- ورد اسم ليبيا في النصوص المصرية القديمة، التي ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد ، فقد أشارت تلك الكتابات إلى مجموعة من القبائل تسكن المنطقة الواقعة إلى الغرب من النيل، مثل قبائل : **التحنو، والتمحو، والليبو أو الريبو، والمشوش**، خريطة (2)، الذين يطلق عليهم اسم الليبيين، نسبة إلى قبيلة **الليبو** أو **الريبو** أكبر تلك القبائل على ما يبدو، ويعود أقدم نص تاريخي مدون لكلمة **ليبوLBW** أو **ريبوRBW**، في

[8] - المرجع نفسه، ص 65 – 68.

نصوص اللغة الهيروغليفية إلى عهد الملك **مرنبتاج** أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد [9]، ومن اسم هذه القبيلة يعتقد إنه اشتق اسم ليبيا.

شكل (2) القبائل الليبية القديمة حسب نقوش الآثار المصرية.

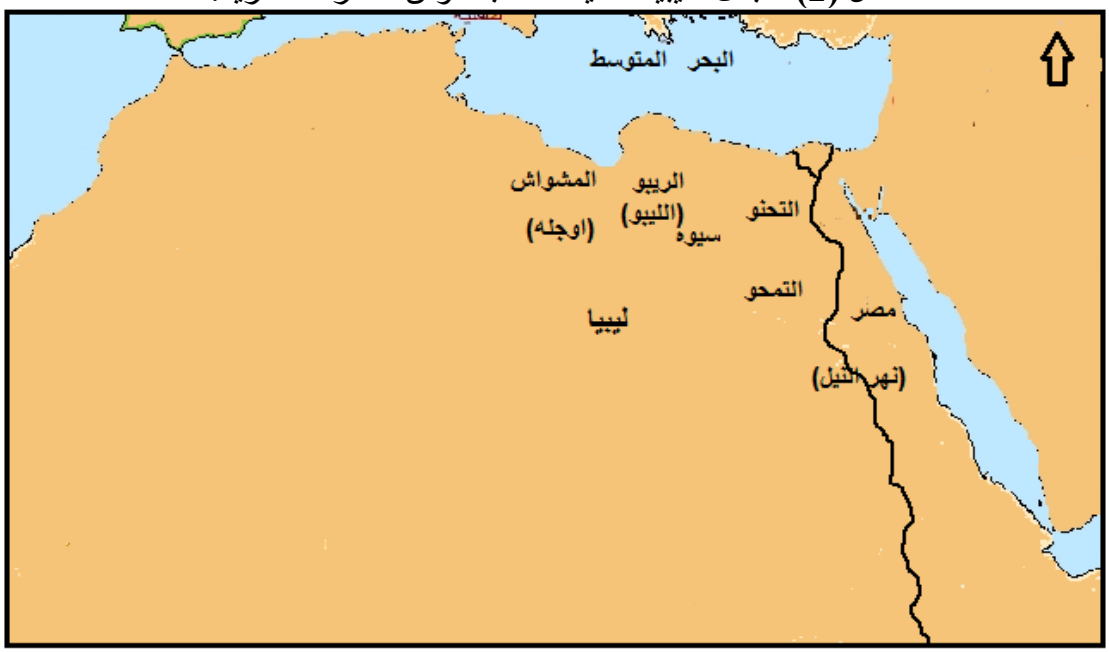

المصدر: عبد اللطيف محمود البرغوتي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1971، ص 150.

- وفي اللغة العبرية ورد نص لكلمة **لوبيم LUBIM** و **ليابيم LEABIM** في كتب اسفارهم القديمة [10]، كما ورد كذلك اسم ليبيا عند الفينيقيين ، حيث وجد نقش فينيقي عثر عليه في تونس وطرابلس لكلمة **ليبي LBY ولوبث LBT ولوباث LWBAT**، والذي يعني سكان ليبيا[11].

- عند قدوم الإغريق كمستعمرين للأجزاء الشرقية من ليبيا في القرن السابع قبل الميلاد، فإنهم أخذوا اسم ليبيا عن المصريين، واطلقوا هذا الاسم على المناطق التي تحيط بالمدن الخمس **بنتابوليس PENTAPOLES** التي أسسوها في تلك المنطقة ، ومن أقدم النصوص الإغريقية التي تحدثت عن ليبيا كانت ملحمة **هوميروس (أوديسا)**، الذي اطلق على الليبيين اسم **اللوفاتجي** أي أكلة **اللوتس**، ثم توسع هذا المفهوم لديهم ليشمل كل الأراضي التي عرفوها في افريقيا، وتمتد من غرب نهر النيل شرقاً، حتى المحيط الأطلسي غرباً، والتي كتب عنها المؤرخ اليوناني **هيرودوت** في القرن الخامس قبل الميلاد، ووصف جغرافية مناطقها والقبائل التي تسكنها وطبيعة سكانها، كما قام **هيرودوت** بتقسيم العالم المعروف آنذاك إلى ثلاثة قارات : **آسيا، أوروبا،** والقارة الثالثة هي **ليبيا** [12].

- اما الرومان الذين ورثوا حضارة الفينيقيين والإغريق، وسيطروا على كامل شمال إفريقيا، فإنهم أخذوا اسم ليبيا عن الحضارتين الفينيقية والإغريقية، وبذلك نجد الكلمة **LIBYES** للدلالة على ليبيا أو وطن الليبيين، لكنهم قلصوا من مساحة الاسم الجغرافية بحيث أصبح يطلق على جزء من ليبيا الحالية، ويشمل برقة وصحراء مصر الغربية، والتي قسموها إلى ليبيا العليا وليبيا السفلى، وفي ذات الوقت فإنهم اطلقوا اسم **(إفريقيا)** محل اسم ليبيا للدلالة على نفس الأقاليم التي تشملها قارة ليبيا عند اليونان[13].

---

[9] - محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الثانية 1975، ص 28-29.

[10] - المرجع نفسه، 29.

[11] - المرجع نفسه، 30.

[12] المرجع نفسه، 32

[13] - المرجع نفسه، 32

- لم يكن الاسم – ليبيا – مستخدماً بين العرب المسلمين عقب الفتح الاسلامي لشمال افريقيا، بل احتفظوا بكلمة إفريقيا[14]، كما انهم استخدموا اسمي برقة وطرابلس.
- في العصر الحديث، فإنه حتى بداية القرن العشرين لم يكن اسم ليبيا قد شاع استخدامه بعد، فخلال الحكم العثماني كانت البلاد تعرف بإقليمي طرابلس وبرقة، وفي الغالب كان اسم طرابلس الأكثر شيوعاً، حيث كانت البلدان تسمى بأسماء عواصمها، والمرة الأولى التي ذكر فيها اسم ليبيا، للدلالة على الأراضي التي تشغلها ليبيا حالياً، كان في عام 1903 عندما نشر الكاتب الايطالي **(ف - مينوتيللي)** ما جمعه من التراث المكتوب عن هذا البلد ، ثم اتخذت ايطاليا اسم ليبيا اسماً رسمياً لولاية طرابلس الغرب، و ذلك عقب اعلان السيادة عليها، واحتلالها في عام 1911، ومنذ ذلك الوقت شاع استخدام اسم ليبيا سياسياً، ليشمل الأراضي التي تشغلها ليبيا حالياً[15].

- تاريخ ليبيا السياسي.

مرت ليبيا بمجموعة من المراحل عبر تاريخها السياسي الطويل، كانت خلالها ضحية السيطرة الاستعمارية، وارتبطت مسارات هذا التاريخ منذ القدم بما تميزت به من خصائص جغرافية، تمثلت في مساحة شاسعة تعاني التفكك الجغرافي، وظروف مناخية صعبة، وموارد اقتصادية محدودة، ما أدى إلى ظهور الثنائية السياسية، كانعكاس مباشر للثنائية الجغرافية بين أقاليم البلاد، خاصة على طول المحور الساحلي – منطقة خليج سرت – حيث كانت هذه المنطقة عبر معظم فترات تاريخ ليبيا السياسي، منطقة فصل جغرافي بين شرق البلاد وغربها، وهو ما كان له بالغ الأثر في وحدة البلاد السياسية، التي كثيراً ما تعرضت للاقتسام السياسي، إذ يمكننا حصر مجموعة من الحالات وقعت فيها برقة في الشرق تحت نفوذ اجنبي مقابل وقوع طرابلس في الغرب تحت نفوذ أجنبي آخر.

ففي القرن الخامس قبل الميلاد، بدأ الاستيطان الفينيقي للساحل الشمالي الغربي من ليبيا، وأسس مجموعة من المراكز التجارية، التي عرفت بالمدن الثلاثة **(لبدة، أويا، صبراتة)**، حيث اسهمت هذه المراكز التجارية في ازدهار التجارة، في منطقة حوض المتوسط ودواخل إفريقيا، ثم خضعت هذه المدن لاحقاً لنفوذ إمبراطورية قرطاجنة، التي ظهرت في القرن التاسع قبل الميلاد، واصبحت القوة الكبرى في حوض المتوسط، ودخلت بذلك في صراع مع الإمبراطورية الإغريقية، التي سيطرت في القرن السابع قبل الميلاد على الساحل الشرقي من ليبيا، حيث أسس الإغريق ما يعرف بالمدن الخمس **(المنيابوليس)**، وبذلك انقسمت ليبيا بين هذين النفوذين وكان الحد الفاصل بينهما في منطقة خليج سرت[16].

نتيجة الصراع بين كل من قرطاجنة وروما على مناطق النفوذ، والذي انتهى بسقوط قرطاجنة وتدميرها سنة 146 قبل الميلاد، آلت كل ممتلكات قرطاجنة إلى روما بما فيها المدن الثلاث، وأصبحت بذلك ليبيا تحت نفوذين من الاستعمار هما : الاستعمار اليوناني في الشرق، والاستعمار الروماني في الغرب[17]، لكن هذا الاقتسام السياسي تلاشى بانهيار الإمبراطورية الإغريقية، ووقوع البلاد تحت سيطرة النفوذ الروماني، الذي سيطر على منطقة حوض البحر المتوسط والمناطق المطلة عليه، وبذلك عرفت ليبيا الوحدة الإقليمية بما فيها منطقة فزان التي امتد اليها النفوذ الروماني[18].

لكن هذه الوحدة الإقليمية التي عرفتها ليبيا، انتهت بانقسام الإمبراطورية الرومانية على نفسها إلى قسمين : بيزنطة في الشرق، وروما في الغرب، وبذلك عادت ثنائية الاقتسام السياسي للأراضي الليبية، فقد خضعت برقة للنفوذ البيزنطي، فيما ظلت طرابلس تحت نفوذ روما، ثم نفوذ الوندال من بعدهم، إلى إن تم استردادها من قبل بيزنطة لتصبح ليبيا كلها تحت النفوذ البيزنطي حتى قدوم العرب الفاتحين[19].

---

[14] - أتورى روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية 1991، ص23

[15] - الهادي ابولقمة، مدخل عام، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير: الهادي ابولقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الأولى 1995، ليبيا، سرت، ص 13.

[16] - أتورى روسي، المرجع نفسه، ص30

[17] - المرجع نفسه، ص 32.

[18] - عبد اللطيف محمد البرغوتي، تاريخ ليبيا القديم: من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، منشورات جامعة قاريونس، دار صادر، الطبعة الأولى 1971، ص 380.

[19] - المرجع نفسه، ص 474.

عقب الفتح الاسلامي في القرن السابع ميلادي **(642 م)**، نجد إن هذه الصورة من الاقتسام السياسي بين شرق البلاد وغربها لم تتغير، حيث دخلت ليبيا في لعبة التجاذبات بين القوى الاسلامية، وتكررت هذه الثنائية من الاقتسام السياسي، فغالباً ما كانت برقة تتبع مراكز القوى في الشرق، وطرابلس تتبع مراكز القوى في الغرب، فكانت طرابلس تتبع الأغالبة في القيروان، وبرقة تابعة لبغداد، و في عهد الدولة الفاطمية كانت برقة تتبع مصر، بينما طرابلس تتبع تونس، وخلال الدولة الحفصية كانت طرابلس تحكم من تونس، بينما لم تدخل برقة تحت سلطانهم[20].

وخلال الحكم العثماني (1551 – 1911)، خضعت ليبيا للسيطرة العثمانية لأكثر من ثلاثة قرون، وعرفت ليبيا خلال هذه الفترة باسم ولاية طرابلس الغرب، وكانت تلحق بها فزان كسنجق تابع لها، بينما كانت برقة سنجقاً منفصلاً دون ان تكون ولاية[21]، وبذلك فإن الاراضي الليبية كلها كانت تحت حكم الإمبراطورية العثمانية، وظلت كذلك حتى الغزو الإيطالي لها في عام 1911، الذي انتهى بسيطرة ايطاليا على كامل الأراضي الليبية، حتى الحرب العالمية الثانية، وبذلك عادت ظاهرة الاقتسام السياسي من جديد إلى الأراضي الليبية، وخضعت البلاد من جديد للسيطرة الاستعمارية، وتحت حكم ادارتين مختلفتين : **برقة وطرابلس** تحت حكم الادارة البريطانية، **وفزان** تحت حكم الادارة الفرنسية، واستمرت محاولات الاقتسام للأراضي الليبية بين هذه القوى، إلى ان حصلت ليبيا على استقلالها في عام 1951، واعلان المملكة الليبية المتحدة من خلال نظام فيدرالي يتكون من ثلاثة ولايات **(طرابلس – برقة – فزان)**، حتى عام 1963 حيث الغي النظام الفيدرالي، واصبحت بذلك ليبيا تحت اسم المملكة الليبية، استمر هذا الوضع حتى عام 1969، وتغير نظام الحكم في ليبيا تحت اسم الجمهورية العربية الليبية.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن هذا التسلسل في أحداث تاريخ ليبيا السياسي، وانقسامها مراراً وتكراراً بين أكثر من نفوذ أجنبي، يعود بحسب رأينا إلى:

- طبيعة ظروف البيئة الجغرافية، التي أسهمت في تكوين بيئات متباعدة داخل جغرافية البلاد الطبيعية، وتفكك كيانها الطبيعي.
- طبيعة التجاذبات السياسية بين القوى المتنافسة، والمهيمنة على البحر المتوسط، حيث تتلاشى هذه الثنائية من الانقسام بين اقليمي طرابلس وبرقة، بزوال الخطر الخارجي ووقوع المنطقة تحت سيطرة قوة واحدة، وهذا يعني إن نزعة الانقسام أو الانفصال ليست موجودة في الداخل، وإنما نتيجة لوجود مؤثر خارجي.

وبرغم تأثير العامل الجغرافي، لكن هذا التشتت الطبيعي الداخلي لا يفقد البلاد وحدتها، فالصحراء كما هي عامل فصل نسبي في الداخل، فهي أيضاً عامل فصل أقوى عن الخارج، فالنطاق الصحراوي الذي يطوق ليبيا ويفصلها عن جيرانها، هو عامل أساسي في وحدتها الإقليمية، لأن عوامل الوصل الداخلي أقوى.

ثانياً / المجموعات العرقية والقبلية في ليبيا وتوزعها الجغرافي.

- التكوين الإثني لسكان ليبيا.

من الناحية اللغوية لفظ الإثنية **Ethnecity**، مشتق من الكلمة اليونانية **Ethnos**، وتعني الشعوب الذين لم يتبنوا النظام السياسي والاجتماعي لدولة المدينة، أما المدلول المعاصر لهذا اللفظ فيعني الجماعة أو السلالة العرقية، أما من حيث المصطلح، فإن لفظ الإثنية يشير إلى كل تجمع بشري، يشترك أفراده في بعض المقومات البيولوجية كوحدة الأصل، أو السلالة، أو المقومات الثقافية كوحدة اللغة، أو الدين، أو العادات والتقاليد...وغيرها[22].

يقصد بالتكوين الاثنوغرافي للسكان، تلك المجموعات التي تشكل الفسيفساء البشرية لسكان الدولة، التي تتباين من حيث العرق ، أو الدين ، أو اللغة ، أي تتميز كل مجموعة بصفات مختلفة عن الجماعة البشرية الأخرى داخل الدولة الواحدة ، بغض النظر عن مجموع افرادها أغلبية كانت أم أقلية[23]، هذا التكوين

---

[20] - جمال حمدان، الجماهيرية دراسة في الجغرافية السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 29 – 31.

[21] - المرجع نفسه، ص 32

[22] - فتيحة قرفاني، تأثير التعدد الاثني في الاستقرار السياسي والأمني في شمال إفريقيا: دراسة حالة الطوارق في مالي إثر الحرب في ليبيا، مجلة رؤية، السنة الرابعة 2015، تركيا، العدد (4)، ص 169.

[23] - عيسى السيد عيسى دسوقي، افغانستان: تقويم جغرافي للواقع السياسي وتداعياته، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2005، ص 78.

الإثني يعد من العوامل المهمة التي تؤثر على استقرار الدولة، فما تكون عليه الدولة من تماسك داخلي، هو في الواقع انعكاس مباشر لصورة نسيجها البشري، فاختلاف النسيج البشري داخل الدولة، غالباً ما يكون أحد أسباب تفتيت وحدة الدولة، وانفصال بعض من أجزائها.

كان لموقع ليبيا الجغرافي، والمراحل التاريخية التي مرت بها، دوراً مهماً في طبيعة تكوينها الإثني، فكان من نتيجة هذا الموقع الجغرافي كمعبر بين المشرق والمغرب العربي، إضافة إلى عمقها الجغرافي داخل القارة الإفريقية، وساحلها البحري الذي يمتد على البحر المتوسط ، أن اصبحت معبراً لموجات متتالية من الهجرات البشرية منذ اقدم العصور، ووجهة العديد من حملات الغزو الخارجي، كل ذلك ترك أثراً واضحاً في التكوين الإثني للسكان، حيث يتكون سكان ليبيا من مزيج من المكونات العرقية **العربية والأمازيغية والإفريقية**، وبعض المجموعات الأخرى، خريطة (3)، وقد شكلت هذه المجموعات العرقية على مر التاريخ، هوية الثقافة الليبية بشكلها الحالي، فكانت متعايشة ومتجانسة فيما بينها، فهذه المجموعات العرقية نسباً وهوية، هي ما يميز المجتمع الليبي، ويجعل من الصعب جداً الفصل بين هذه المكونات ، سواء على مستوى العرق، أو اللغة أو حتى الثقافة، إذ نجد تداخلاً وانصهاراً بين مختلف الهويات على كامل مساحة ليبيا، وعلى هذا الأساس تضم ليبيا عدد من المجموعات العرقية الآتية :

-**العرب.** هم أكثر المجموعات السكانية انتشاراً ويشكلون أغلب سكان ليبيا، دخلوا إلى ليبيا مع بداية الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي 642 م، ثم تعزز وجودهم، وزادت أعدادهم عقب توافد العديد من هجرة القبائل العربية اللاحقة، خاصة تلك الهجرة الكبيرة التي حدثت خلال القرن الحادي عشر، المعروفة بالهجرة الهلالية، تلك الهجرة التي ضمت أفواج بشرية كبيرة من قبائل بني هلال، وقبائل بني سليم، وبعض القبائل الأخرى، والتي كان لها تأثير كبير في التركيب الديمغرافي لسكان ليبيا، والمغرب العربي بشكل عام، وهم يتوزعون في مختلف أرجاء ليبيا.

- **الأمازيغ.** يعد الأمازيغ من أقدم المجموعات البشرية التي استوطنت ليبيا، فهم سكان ليبيا الأوائل، يتكونون من مجموعة قبائل سكنت المنطقة الواقعة غرب النيل، ورد ذكر بعضها في الكتابات المصرية القديمة، وكتب عنها أيضاً المؤرخ اليوناني هيرودوت، في كتابه التاريخ خلال القرن الخامس قبل الميلاد[24]، كما ورد ذكر هذه القبائل لدى الكثير من المؤرخين والجغرافيين العرب، هذه القبائل كانت تنتشر في معظم انحاء ليبيا المعروفة آنذاك، لكنها اضطرت تحت ضغط المؤثرات الخارجية، نتيجة عمليات الغزو الخارجي المتكرر، الذي اجتاح مناطقها، إلى الانعزال في مناطق محددة جبلية كانت أم صحراوية، كما تعرب العديد من هذه القبائل، نتيجة اختلاطها بالقبائل العربية، وينحصر توزعهم الجغرافي حالياً في مناطق محددة من ليبيا، حيث يتواجد بعض منهم على الساحل الشمالي الغربي في مدينة (**زوارة**)، وفي مدن جبل نفوسة : **جادو، يفرن، كاباو، نالوت**...وغيرها ، وفي واحات **غدامس**، و **سوكنة**، و **أوجلة**، وهم يتحدثون اللغة العربية إلى جانب اللغة الأمازيغية، ولهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، ويدينون بالدين الاسلامي، غير إنهم يختلفون من حيث المذهب الديني ، فهم يتبعون المذهب الإباضي.

- **الطوارق.** وهم سكان الصحراء الكبرى، استوطنوها منذ الاف السنين، وهم يتواجدون في الجزء الجنوبي الغربي من ليبيا، ولهم امتدادات داخل دول الجوار الجغرافي، في كل من الجزائر، وتشاد، والنيجر، وتشير العديد من الدراسات إلى اصولهم الأمازيغية، وإنهم نزحوا من مناطق الشمال إلى الجنوب تحت تأثير الغزو الخارجي[25]، حتى استقروا في هذه المناطق الممتدة من مدينة غدامس شمالاً حتى مدينة غات جنوباً، وهم ذوي بشرة سوداء، يتحدثون إلى جانب اللغة العربية لغتهم الخاصة (**التيفناغ**)، ولهم عاداتهم وتقاليدهم التي لازالوا يمارسونها ويحتفظون بها، وهم يدينون بالدين الاسلامي.

- **التبو.** هم مجموعة بشرية قديمة، يستقرون في الصحراء الكبرى، موطنهم الأجزاء الجنوبية من ليبيا، في منطقة جبال تيبسي على الحدود الليبية التشادية، ويتحدثون إلى جانب اللغة العربية لغة (**التيدا**)، ذوي بشرة سوداء، لهم موروثهم الثقافي الخاص بهم، يدينون بالدين الاسلامي.

---

[24] - لمزيد من الاطلاع أنظر: أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ) ترجمة: مصطفى أعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص 37 – 117.

[25] - محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء، القاهرة، 2001، ص 17 – 18

خريطة (3) المجموعات البشرية في ليبيا.

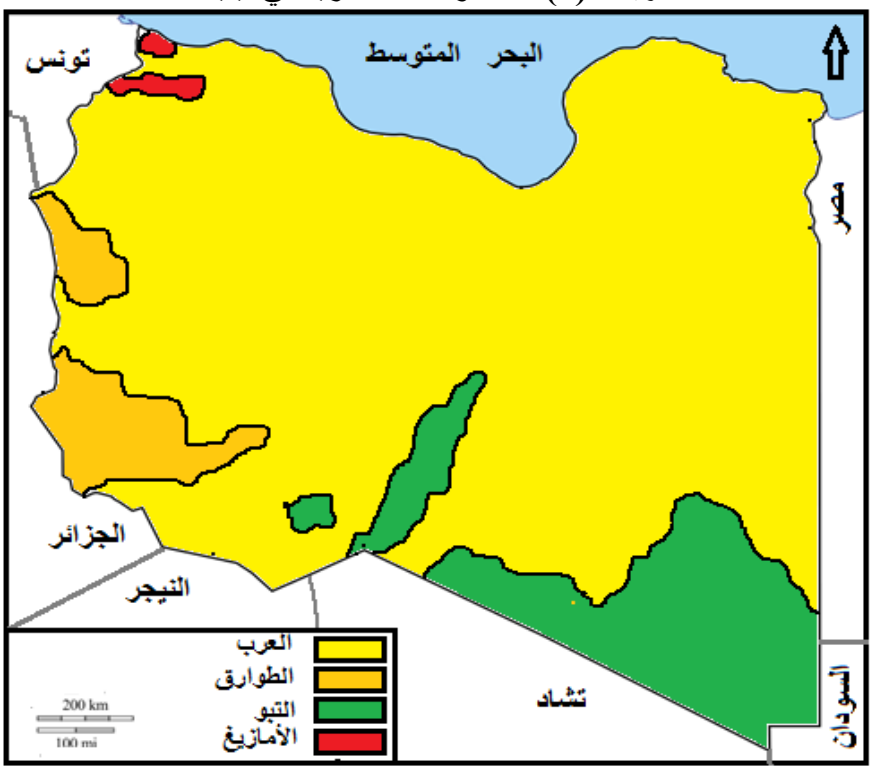

المصدر: www. mapsorama.com

- التنوع القبلي في ليبيا

يقصد بالتنوع القبلي مجموعة القبائل المكونة لسكان الدولة، فالقبيلة تعني مجموعة من السكان، يجمعهم رابطة الدم، والأصل المشترك، يتكلمون لغة واحدة، يسكنون اقليماً جغرافياً واحداً، يعتبرونه موطنهم وحدهم وملك خاص لهم ، وتتكون القبيلة من عدة فروع وعشائر...وغيرها، وفي إطار هذا النظام ينصرف انتماء الفرد وولائه إلى القبيلة وفصائلها، ولذلك فإن القبيلة تمثل نظاماً مناهضاً لنظام الدولة القومية الحديثة، لكن برغم سلبيات هذا النظام القبلي فإن له أيضاً بعض المزايا، حيث يرجع الفضل للنظام القبلي في المحافظة على ليبيا مسلمة وعربية اللسان طوال هذه الفترة، وذلك بفضل الرغبة في المحافظة على الهوية القبلية، التي حمت الفئات في كتلة واحدة، من اجل الدفاع عن البقاء ضد كل حملات الاستعمار التي استهدفت وجودهم.

تعد القبيلة مكوناً اساسياً للسكان في ليبيا، كما هو حال معظم الدول العربية التي عرفت هذه الظاهرة منذ القدم، وتزخر ليبيا بتنوعها القبلي، إذ تشكل القبائل نسبة كبيرة من سكانها، ويرجع معظمها إلى أصول عربية، حيث تتكون البنية الاجتماعية للسكان في ليبيا من عدد كبير من القبائل، تجمعها روابط وتحالفات اجتماعية، وسياسية، وحتى عسكرية أحيانا، والتي كانت سائدة في فترات سابقة لظهور الدولة بمفهومها الحديث، و تنقسم القبائل في ليبيا إلى قبائل عربية والتي ترجع في أصولها الى هجرات تلك القبائل العربية التي توافدت على ليبيا منذ الفتح الاسلامي أهمها:

1- **قبائل بني هلال**: استقرت في الأجزاء الغربية من ليبيا، وتتفرع الى عدة بطون، وتنتمي لها العديد من القبائل المتواجدة حالياً في هذه الأجزاء.
2- **قبائل سليم**: واستقرت في الأجزاء الشرقية من ليبيا وتنتمي لها قبائل المنطقة الشرقية بفروعها المتعددة.

كذلك توجد قبائل ذات أصول أمازيغية، وتشكل هذه المجموعة بقايا تلك القبائل الليبية القديمة التي استقرت في هذه المنطقة منذ القدم، حيث ينقسم الأمازيغ بحسب المؤرخين إلى فرعين أساسيين هما:

1- **البرانس:** تنحدر من فرع البرانس قبائل هوارة، وكتامة

3- مادغيس: تنحدر منه قبائل أداسة، وضريسة، ونفوسة، ولواته[26].

اضافة الى هذه القبائل الكبيرة وفروعها المتعددة، توجد قبائل ذات اصول عربية، واخرى من اصول غير عربية قليلة العدد.

يتبين لنا مما سبق إن المراحل التاريخية التي شهدتها ليبيا، والهجرات البشرية المتعاقبة التي وفدت إليها واستمرت لفترة طويلة من الزمن، غيرت من خريطة تكوينها الديموغرافي، فتكون بذلك هذا النسيج البشري المميز الذي يشكل حالياً سكان ليبيا، فقد اختلطت هذه المكونات البشرية مع بعضها بعض، وتنقلت بين ارجاء ليبيا تحت تأثير الظروف الجغرافية احياناً، والظروف الاقتصادية في أحيان أخرى، فاختلطت هذه المكونات وانصهرت وتصاهرت، فتماسكت هذه المجموعات دينياً ولغوياً، وبذلك فإن الليبيين إذا لم يرتبطوا برابطة الأصل المشترك، فإنهم يرتبطون برابطة الدين والعقيدة.

ثالثاً / العامل الإثني ودوره في تقوية الترابط بين المناطق في ليبيا

تتكون الأمة الليبية من مجموعات بشرية متباينة عرقياً وقبلياً، تعايشت هذه المجموعات بشكل سلمي في هذا المجال الجغرافي منذ أمد طويل، وتوافقت فيما بينها رغم صعوبة ظروف الاقليم الجغرافية وشح موارده، وشكلت بذلك هوية الثقافة الليبية بشكلها الحالي، هذا التمازج بين هذه العرقيات نسباً وهوية هو ما يتسم به المجتمع الليبي، ويجعل من الصعب الفصل فيما بينها سواء على مستوى العرق، أو اللغة، أو حتى الثقافة أحياناً، فنجد إن هناك تداخلاً و انصهاراً بين مختلف الهويات ، حيث تعايشت كل العرقيات والقبائل داخل جغرافية ليبيا الطبيعية منذ مئات السنين، وتمازجت ثقافاتهم، و حضاراتهم ، وأنسابهم نتيجة علاقات المصاهرة والعيش المختلط فيما بينهم، ولم يظهر خطاب تمييز الهوية بين هذه العرقيات، وكذلك خطاب القبيلة ، والجهوية إلا بعد الفترة الاستعمارية للبلاد، حيث حاول الاستعمار ممارسة سياسة التفريق، واللعب على وتر هذا النسيج الاجتماعي المترابط ، بغية تسهيل السيطرة عليها، أما قبل هذه الفترة فإن الانتماء لأي من هذه المكونات ، أو المناطق هو من باب التعريف و الاعتزاز بالانتماء القبلي أو الإثني ، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن هناك مرتكزات أسهمت في تقوية هذه الروابط بين الليبيين أهمها :

1- المرتكز الإثني. تتميز ليبيا بتنوع تكوينها السكاني، حيث تضم مجموعات متباينة عرقياً : العربية والأمازيغية بالإضافة إلى بعض المجموعات الأخرى، هذه المجموعات رغم تباينها عرقياً، لكنها متماسكة دينياً و لغوياً، فلا وجود لأقليات دينية، أو مذهبية، أو طائفية في ليبيا، حيث دين الاسلام هو دين الدولة، كما إن معظم السكان يتبعون المذهب المالكي، باستثناء سكان جبل نفوسة (الأمازيغ) فهم يتبعون المذهب الإباضي، إضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية هي اللغة الرسمية التي يتكلم بها السكان، مع وجود اللغات الوطنية للجماعات الأخرى، حيث اللغة الأمازيغية في منطقة جبل نفوسة، والتارقية عند الطوارق، والتيدا عند التبو، كما إن لكل مجموعة من هذه الجماعات خصوصيتها الثقافية، من حيث العادات والتقاليد التي تمارسها وتوارثتها عبر الأجيال، وبهذا يمكن اعتبار العامل الديني واللغوي، مرتكز مهم من حيث تمتين روابط الانتماء الوطني بين الليبيين.

2- المرتكز الجغرافي. تبين لنا من خلال خريطة التوزع الجغرافي للمجموعات السكانية، إن كل مجموعة عرقية، كانت أم قبلية تستوطن رقعة جغرافية معينة، وهذا أمرا طبيعي في دولة مثل ليبيا تمتاز برقعتها الجغرافية الشاسعة، ما يعطي انطباعاً بأن هذه المجموعات المنعزلة والمتباعدة عن بعضها جغرافياً، يمكن أن يكون أحد مخاطر الوحدة الوطنية، لكن هذا التشتت الداخلي في طبيعة ليبيا الجغرافية لا يفقدها وحدتها، فالصحراء كما هي عامل فصل نسبي في الداخل، فإنها عامل فصل أقوى عن الخارج، فالغلاف الصحراوي الذي يطوق ليبيا، ويفصلها عن جيرانها، هو عامل أساسي في حفظ وحدتها الإقليمية، فهو الذي يتغلب على جبهات الانفصال الصحراوية داخلها، فعوامل الوصل الداخلي أقوى من عوامل الفصل[27]. كما إن مظاهر السطح في ليبيا بوجه عام غير معقدة، ولا تقف عائقاً أمام حركة التواصل بين هذه المكونات التي تمازجت واختلطت منذ القدم، وحتى تلك الثنائية الجغرافية في الاقتسام السياسي، التي تكررت خلال فترات من تاريخ ليبيا السياسي، بين شرق البلاد وغربها، كانت نتيجة ظروف سياسية، وليس بفعل الحتمية الجغرافية،

---

[26] - أتورى روسي، المرجع نفسه، ص 59 -60.

[27] - جمال حمدان، المرجع نفسه، ص 175 – 176.

فالرومان عند سيطرتهم على ليبيا حكموا ارضاً موحدة، وكذلك أيضا حكم المسلمين ليبيا، وفي فترة الحكم العثماني كذلك بسطت السلطات العثمانية سيطرتها على كامل أجزاء ليبيا، واستعمر الإيطاليون ليبيا كأرض موحدة، وبهذه الصورة نجد إن ليبيا تمتلك معايير الوحدة أكثر من الانفصال.

3- المرتكز الاجتماعي. كان للعامل الاجتماعي دوراً مهماً طوال مراحل تاريخ ليبيا السياسي، حيث يرتبط معظم سكان ليبيا بروابط اجتماعية من حيث نمط تركيبهم القبلي، وكذلك وحدة العقيدة الاسلامية، فكان لهذا العامل دوره سواء في حركة الجهاد الوطني ضد موجات الاستعمار التي تعرضت لها ليبيا، أو خلال فترة تأسيس دولة ليبيا الحديثة، فخلال فترة الاحتلال العثماني لليبيا، وقف الليبيون بمختلف انتماءاتهم العرقية، و تركيبتهم القبلية ضد هذا الاستعمار، فكثير ما خرجت القبائل الليبية ضد الحكم التركي وأعلنت الثورة ضده، كما في ثورة الجبل التي قادها الشيخ سوف المحمودي، و ثورة عبدالجليل سيف النصر، كذلك رفض العديد من القبائل دفع الضريبة للأتراك[28]....وغيرها من مظاهر التضامن والتآزر بين مكونات سكان ليبيا بمختلف تركيباتهم التي وقفت في وجه الاستعمار التركي، كذلك نجد ذات الصورة قد تكررت خلال الغزو الإيطالي لليبيا، فقد تصدت كل القبائل والمكونات السكانية لهذا الغزو، ولم ترضخ له وقاومته بكل الوسائل، فكانت العديد من المعارك التي اختلطت فيها دماء كل الليبيين، من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب بلا استثناء، ولعل معركة القرضابية الشهيرة في سنة 1915 في مدينة سرت أهم هذه المعارك، التي جسدت بما لا يدع مجالاً للشك، أحد مظاهر التلاحم والانتماء الوطني، بين مختلف سكان ليبيا بمختلف انتماءاتهم العرقية والقبلية، فكانت بحق معركة الوحدة الوطنية ضد الاستعمار الايطالي.

ومن مظاهر تجسيد الترابط الوطني بين الليبيين أيضاً، كان اختيار الشيخ سليمان الباروني، وهو ذوي أصول أمازيغية، من سكان جبل نفوسة، ليكون رئيساً للجمهورية الطرابلسية، التي حاول المجاهدين تأسيسها عام 1918 في الجزء الغربي من ليبيا، حيث لم يفكر زعماء المناطق الغربية، وهم من اصول عربية بأن تكون رئاسة الجمهورية من نصيبهم وهم الأغلبية، لكنهم رأوا في الشيخ سليمان بأنه الأقدر والأكفأ لقيادة هذا المنصب، وهو ذات المشهد تكرر عندما بايع الليبيون من سكان الغرب والجنوب السيد ادريس السنوسي، ليكون ملكاً على ليبيا عقب حصول البلاد على الاستقلال، وتأسيس دولة ليبيا الحديثة، وذلك من أجل قطع الطريق على محاولات التجزئة التي حاولت الدول الأجنبية فرضها على ليبيا، عندها لم يفكر الليبيون بمختلف انتماءاتهم بمنطق العدد، والأقلية، أو المناطقية، والجهوية، وإنما كان الهدف هو ليبيا الوحدة الواحدة.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن اختلاف التكوين العرقي للسكان، وتنوعهم القبلي لا يعني بالضرورة عدم تجانس مجتمع الدولة، أو أنه عامل ضعف في الدولة يمكن أن يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار والصدام بين هذه المكونات، فهو أيضاً يعني القوة عندما تسود الهوية الوطنية ، و روح المواطنة بين هذه المكونات السكانية، وليبيا بلد يتكون من مجموع عرقيات، تعايشت وتشاركت في هذه الجغرافية منذ القدم، واختلطت مع بعضها بعض عبر المصاهرة، يربطها في ذلك الدين الواحد، ووحدة التاريخ والمصير المشترك، ولكل من هذه المكونات خصوصيتها الثقافية، فكان نتاج ذلك مجتمع متجانس على صعيد التركيب السكاني، فلا وجود لاختلافات بين هذه العرقيات، ولم يحدث بينها أي حالة عداء قادت إلى عمليات تطهير عرقي، حتى ما كان يحصل من حروب ونزاعات بين هذه العرقيات ، أو حتى بين القبائل فيما بينها، هو في الواقع صراع على موارد المياه، والمرعى، وملكية الأرض، لكن ما نراه اليوم من حالة استعداء بين هذه العرقيات ، والتركيبات القبلية، وخطاب الجهوية ، والمناطقية الذي بات يتردد اليوم في ليبيا، هو نتيجة تدخل المؤثر الخارجي، الذي ربما يقود إلى حالة من التشظي، والانقسام بين أجراء الدولة التي صمدت لعصور طويلة، حافظت خلالها على وحدتها الوطنية، هذه الوحدة الوطنية تحتاج اليوم إلى إعادة تمتين الروابط بين السكان، حتى يشعرون بأن ليبيا وطن الجميع، فتنصهر بذلك جميع هذه المكونات السكانية في وحدة سياسية واحدة، هي الأمة الليبية بنظام سياسي لا يقصي أحد، ويضم كل مكونات الأمة بمختلف تباياناتها السكانية.

---

[28] - شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، لطبعة الثانية، 1983، ص632 – 643.

وعلى هذا الأساس ينبغي صياغة هوية وطنية تعبر عن تكوينات الأمة، والشعور المشترك بين افرادها، وتوجيه ولائهم نحو الهوية الوطنية الليبية، وليس نحو وحداتهم الاجتماعية الفرعية، عرقية كانت أم قبلية، بما يجسد الشعور بالمواطنة لديهم، من اجل بناء الدولة الأمة، والذي يجب أن يتخطى أطر الجماعات الإثنية، والمحلية إلى بناء مؤسسات وأطر وطنية شاملة، وهذا لا يعني بالضرورة القضاء على خصوصية الجماعة الإثنية الفرعية، بل بقاؤها ضمن اطار الوحدة الوطنية[29]، وهذا يحتاج إلى سلطة سياسية تؤمن بالتعددية، وتسمح بمطالب المجموعات السكانية في ممارسة خصوصيتها الثقافية، وعدم تكرار النماذج الفاشلة في بناء الدولة التي قد لا تقود إلى بناء الأمة، فما حصل في ليبيا بعد 1969 م كان له بالغ الأثر على بناء الدولة الأمة، فتحديد هوية الدولة بالهوية العربية دون اعتبار لمن يشاركون العنصر العربي الجغرافية ، قد اوصل البلاد إلى هذه المرحلة، فتلك المجموعات حتى وإن رضخت لذلك، لكنها كانت مغلوبة على أمرها، وبعد تلاشي ذلك النظام وانهياره، تحاول هذه المجموعات عدم الرضوخ مرة أخرى، وإعادة التجربة السابقة ، والمطالبة بحقوقها كاملة دون تمييز، و هي المعضلة التي تواجه ليبيا اليوم في بناء دولة ليبيا الأمة، بمختلف تكويناتها السكانية، وتركيبتها القبلية، والتعايش المشترك في هذه الرقعة الجغرافية بأقاليمها الجغرافية الثلاث : برقة وطرابلس وفزان.

الخاتمة

برغم التعدد الإثني لحالة السكان في ليبيا، واتساع مساحتها الجغرافية، التي تشغل الصحراء معظمها، ومظهر التشتت العام لتوزيع السكان، إلا إن ليبيا حافظت على وحدتها الإقليمية طوال هذه العصور، فقد تعايشت هذه المجموعات البشرية داخل الجغرافية الليبية، وارتبطت مع بعضها بعض بوحدة الدين، والتاريخ، والمصير المشترك، ولم تشعر أي من هذه الجماعات بالتهميش السياسي أو الاجتماعي، وإنما كان لكل مكون خصوصيته الثقافية. لكن ما تشهده ليبيا اليوم، في ظل هذه الظروف السياسية، من خطاب الجهوية، والمناطقية، وحالات التعصب القبلي، والولاء للهويات الفرعية على حساب الهوية الليبية، والذي تدعمه أجندة خارجية، ينذر بضعف الاندماج الوطني بين هذه المكونات، وربما يؤدي بوحدة البلاد السياسية إلى التشظي والتفتت بعد إن صمدت طوال هذه المراحل. وبذلك يجب العمل على تقوية الترابط الاجتماعي عبر الالتفاف حول المصلحة الوطنية العليا، ونبذ الخطاب الجهوي، وتقديم الولاء للوطن على جميع الولاءات الأخرى، وتنمية وتعزيز قيمة الانتماء للوطن، وذلك من خلال المناهج التعليمية، ووسائل الاعلام المتنوعة، والمؤسسات الفكرية، والمنتديات الثقافية وغيرها.

المراجع:

1. حمدان، جمال، الجماهيرية العربية الليبية دراسة في الجغرافيا السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996.
2. شرف، عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، منشأة المعارف الاسكندرية، الطبعة الثانية، 1971.
3. المهدوي، محمد المبروك، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الثالثة، بنغازي، 1989.
4. عبد اللطيف محمود البرغوتي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1971
5. محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الثانية 1975.
6. أتورى روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية 1991.
7. الهادي ابولقمة، مدخل عام، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير: الهادي ابولقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الأولى 1995، ليبيا، سرت.
8. عيسى السيد عيسى دسوقي، افغانستان: تقويم جغرافي للواقع السياسي وتداعياته، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2005.
9. أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ) ترجمة: مصطفى أعشي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009.

[29] - فتيحة قرفاني، المرجع نفسه، ص 169.

10. محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء، القاهرة، 2001.
11. شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، لطبعة الثانية، 1983.
12. فتيحة قرفاني، تأثير التعدد الإثني في الاستقرار السياسي والأمني في شمال إفريقيا: دراسة حالة الطوارق في مالي إثر الحرب في ليبيا، مجلة رؤية، العدد (4) السنة الرابعة / ديسمبر 2015.
13. بوطالب، محمد نجيب (2012)، الظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي.